

نزيف العقل العربي

الكاتب



نبيل سالم

نبيل سالم *

عادة ما يرتبط اسم الربيع بالتغيرات الأجملى فى الطبيعة، حيث تخضوضر الأرض، وتنتشر فيها الأزهار المختلفة، لكنه مع الأسف فى بلادنا العربية، شكل ما يسمى بالربيع العربى، موسماً للجذب والموت والدمار، حيث لا تعد ولا تحصى الخسائر التى خلفها هذا «الربيع» على الشعوب والأوطان فى عالمنا العربى، المثخن بجراحه، التى ما أن يندمل أحدها، حتى ينكأ الآخر، لكن أخطر هذه الجراح والنتائج لربيعنا العربى، هو هجرة العقول وهروب الكوادر العلمية من البلدان العربية التى طالتها نيران «الربيع العربى»، ولا سيما سوريا التى ما زالت تعاني أزمات اقتصادية معقدة، تزيدها سياسات الولايات المتحدة الأمريكية والعقوبات الاقتصادية، إذ تسعى واشنطن إلى استخدام الساحة السورية، ساحة للمقايضة مع روسيا، حيث يطغى التوتر الشديد بين الجانبين فى أكثر من ساحة، وفى أكثر من ملف

ووفقاً للعديد من الدراسات المتخصصة، تشكل هجرة الأدمغة من الدول العربية، الهاجس الأكبر لدى العديد من الدول العربية.

ورغم أن ظاهرة هجرة العقول، موجودة منذ زمن بعيد، وأن الملايين من الشباب العرب، ولا سيما من المثقفين انتقلوا للعيش فى دول أخرى وخاصة فى أمريكا وأوروبا، إلا أن أحداً لا يستطيع تجاهل أثر ما سمي بالثورات العربية التى انطلقت شرارتها فى عام 2011 فى دفع الكثير من النخبة إلى الهجرة، بحثاً عن الأمان والاستقرار

واللافت أن هجرة الأطباء وكوادر القطاع الصحى شكلت النسبة الأكبر، حيث وبحسب منصة ستاتيسا الإحصائية، فقد تصدرت مصر فى المرتبة الأولى عربياً بعد سفر 12525 طبيباً

أما فى سوريا التى مازالت تنزف بسبب جراح «الربيع العربى»، فبعد أكثر من عقد من الحرب لم يبق سوى 20 ألف

طبيب من أصل 70 ألفاً، وفق تصريح نقيب الأطباء السابق كمال عامر في فبراير 2021، في وقت يتواصل فيه نزيف العقول السورية، حيث تقدر الإحصائيات بأن نحو 70% من العاملين في القطاع الصحي في البلاد، باتوا من المهاجرين.

كما تزايدت هجرة الأطباء السوريين إلى دول أوروبية، ولا سيما ألمانيا، بسبب تدني الأجور وطول ساعات العمل، فضلاً عن صعوبة افتتاح عيادات خاصة في سوريا

وعلاوة على ذلك، فإن الأطباء السوريين يتمتعون بخبرة كبيرة في مجالات مثل جراحة القلب والأوعية الدموية وطب التخدير، وهذه المجالات تشكل جزءاً كبيراً من احتياجات المستشفيات في ألمانيا

ووفق دراسات للجامعة العربية والبنك الدولي، فإن العالم العربي خسر ثلث طاقته البشرية في ظل هجرة الأدمغة التي تشهدها بلدانه

وأشارت هذه الدراسات، إلى أن وجهة الكوادر العرب، كانت بمعظمها إلى دول أوروبا وأستراليا وكندا

ولفتت إلى أن ما يُقارب من 50% من هؤلاء هم أطباء متخصصون، و23% تقريباً مهندسون، فضلاً عن الاختصاصيين في مختلف المجالات

ووفق هذه الدراسات، فإن الأزمة تكمن في أن 54% من الطلاب العرب الذي يسافرون للعلم، لا يعودون إلى أوطانهم لندرة فرص العمل

والحقيقة أن هذه الأرقام المفزعة عن الخسائر العربية في الكوادر العلمية المنوط بها المساهمة في رفع سوية التطور في البلاد العربية، دفعت الكثير من المتخصصين والمؤسسات العالمية إلى التحذير من خطورة هذا الواقع وأثره التدميري على المجتمعات العربية، حيث إنه في حال استمرار هذا النزيف في الكفاءات، فإن العديد من الدول العربية، ولا سيما التي ما زالت تشهد صراعات مسلحة، ستشهد تراجعاً كبيراً على مستوى الخدمات، ولن تتمكن من الوصول إلى المستويات المطلوبة من النمو

أمام هذا الواقع الأليم وهذه الأرقام الصادمة لهجرة الكوادر العلمية العربية ولاسيما الأطباء، أما آن الأوان للبحث عن وسائل جديّة لوقف هذا النزيف في العقول العربية، في وقت تبدو فيه بلادنا في أمس الحاجة لهذه الطاقات البشرية والعلمية، لترميم ما خربه «ربيعنا العربي» أم أننا سنبقى ندور في حلقاتنا المفرغة، وننزف هكذا فتبني الكوادر العلمية العربية وتزهر بعلمها في بلاد أخرى، بدلاً من المساهمة في بناء أوطانها ؟

nabil_salem.1954@yahoo.com